

كراسات المنتدى

Les Cahiers du FTDES

جويلية 2019

الكراس عدد 2

سوسيولوجيا الفعل الجماعي في تونس

منذ 14 جانفي 2011

تعدد طرق الإنخراط و تنوع أشكال الإحتجاج

الكراس عدد 2

جويلية 2019

سفيان جاب الله

أستاذ علم اجتماع مُتعاقد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية
بصفاقس

" مانيش مسامح، فاش نستناو، باستا "

مُقاربة سوسيولوجية للحملات الشبابية في
تونس

مُلخَص

في تشخيص لما صار بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011 . سيرورة ما حدث وما يحدث نحو صيرورة تنتظر الحدوث، في أشكال الاحتجاج الجديدة و الفاعلين الجدد القُدامي ، في الفرق بين مفهوم الحملة والحركة، في الأفقيّة واحتكار الشباب لإبداع نضاليّ فريد وفي بحث عن رسم ملامح وضعيّة تتسمّ بالسيولة والتغيّر والغموض. في كلّ هذه العناوين، وأحداث وتواريخ وأفكار ومفاهيم أخرى، تبحث هذه الورقة عن استقراء سوسيولوجي يفتح باب الحوار حول واقع ينتظر الكتابة عنه، كتابة تتجاوز الما قبليات لتنتقل من مراوحة بين تفسير تجارب الفاعلين وفهم المعاني التي يعطونها لأفعالهم من جهة ، والنظريات السوسيولوجية المعاصرة من جهة أخرى، لتصل إلى إجابات لا تنتهي بعدها من طرح الأسئلة.

Abstract

In the diagnosis of what had happened between December 17th, 2010 and January 14th, 2011, the process of what has occurred and what is happening towards what is expected to take place.

In the new forms of protests and both old and new actors.

In the difference between the concepts of campaign and movement.

In the horizontality and young people's monopoly in creating a unique way of struggle.

In the search for a situation characterized by fluidity, change and ambiguity.

In all these titles, events, dates, ideas and other concepts, this paper explores a sociological induction that opens the door to a dialogue about a reality waiting to be written about, a writing that goes

beyond the apriorism to start from an alternation/entrenchment
between interpreting the experiences of the actors and
understanding the meanings which they give to their actions on the
one hand, and the contemporary sociological theories on the other
hand , to reach answers ending with questions.

"في الثورة، كما في الرواية، أصعب جزء فيها هو كتابة النهاية "

"آلكسيس دي توكفيل "

تونس 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 : حرقُ البوعزيزي لنفسه، احتراقه ومآلات تلك النار، فرار "بن علي" وصولاً لانتخاب المجلس التأسيسي، حكم الترويكا ثم الحوار الوطني وما بعده.. عنوان ثم عناوين .. سيرورات وصيرورات .. حركة وحركات .. ديناميكية فريدة، وتشكلٌ معقدٌ لمسارات تقاطعت كنتيجة لواقع جيو-سياسي دولي، خارطة لموازن قوى داخلية، لتقاطعٍ مُعقدٍ لتحالفات، صراعات، مشاريع ومصالح فردية وجماعية.

انقسمت تونس بعد هروب "بن علي" إلى دربين : دربٌ فيه سيرورة حركة اجتماعية، باختلاف تركيبة فاعليها وأشكال فعلها ، تنشُد-أو كانت تنشُد- أن تصير ثورة¹⁴⁴. ودرب آخر فيه اشتغلت ميكانزمات ردّ الفعل ثم الفعل لإعادة الإنتاج لمنظومة ما قبل 14 جانفي 2011.

لا "الثوار"، كفسيفساء يوحدّها إطار مفقود، افتكّوا الحكم. ولا "الحاكم"، ككلّ مُتجاوز لمجموع أجزائه، دخل إلى السجن. كأننا أمام تعادل سلبيّ أفرز، في ما أفرز، حلاً وسطاً يتماشي مع ميزان القوى الذي لا يسمح بِمُنْتَصِرٍ في الحرب.

نتج عن ذلك، بعد المجلس التأسيسي- وهيئة الحقيقة والكرامة والانتخابات التي تلت الحوار الوطني، ما سُميَّ بمسار الانتقال الديمقراطي والعدالة الانتقالية. مسار جعل من يؤوّلون الواقع من خلال «Framing/تأطير¹⁴⁵» "الثورة" يقفون عن ممارسة «سياسة

¹⁴⁴فهي ليست ثورة، ولا نذهب هنا إلى نفي صفة الثورة عما حدث إلى تحليل معمقٍ للنظريات المفسرة لماهية الثورة، بل فقط من تشخيص أوليٍّ لكون 17 ديسمبر / 14 جانفي كانت عنواناً للثوار، على الأقلّ على مستوى سيرورة فعلهم الجماعي، دون ثورة ضدّ نظامٍ أسقطَ لكنّه لم يسقطْ لأنّ سقوط رؤوسه لم يسقط سيطرته على مناطق النفوذ داخل أجهزة الدولة.

¹⁴⁵في توضيح لمفهوم مركزي : التأطير/Framing

مفهوم التأطير Framing في علم الاجتماع بدأ انطلاقاً من مفهوم الإطار (cadre/ frame) كما استعمله "غوفمان"، وهو ما يمكن أن نفهمه كمخطط نعتمده في تأويل الواقع أو بالأساس كاستعارة سينيما توجرافية لتقنية التأطير، حين يتعامل المخرج مع الكاميرا أثناء إخراجها أو تصويره لواقع ما من زاوية نظر بعينها محددة وبخيال مخصوص. إنّ الإطار بالنسبة إلى الأفراد في المجتمع هو مجموعة

الحلم¹⁴⁶» للمرور لـ«سياسة صراع¹⁴⁷» تنوّعت فيها التكتيكات والاستراتيجيات و"البراكسيس" ليتحوّلوا من مربّع الفعل، الذي توفّره سيرورة الفعل الجماعي الذي ينشد الصيرورة الثوريّة، إلى مربّع ردّ الفعل بعد إفراز مسار الانتقال الديمقراطي لقواعد جديدة للفعل داخل الحقل الاحتجاجي بجعل الحركة الاجتماعية 17 ديسمبر 2010/14 جانفي 2011 مُجبرة على النظر من خلال الـ Framing/التأطير الجديد لبُنية فرص التغيير السياسية الممكنة ألا وهو إطار الديمقراطية التمثيليّة (representative democracy) الذي يحصر الفعل الجماعي في الاحتجاج الذي لا ينشد تغييرا راديكاليًا لأنّه يخشى، بعد انخراطه في منظومة الديمقراطية التمثيليّة، من كلّ اتّهام له بأنّه غير ديمقراطي ومُطالب بإسقاط النظام بقوة غير قوّة الصندوق. وتحوّل الحركة الاجتماعية إلى شتات حركات احتجاجية بعد انسحاب (أفراد ومنظمات) من يهّمهم فقط مطلب "الحرية" الذي تحقّق بالنسبة لهم بتحقيق حرية الفعل السياسي، وبقاء الناشدين لمطلب "شغل وعدالة اجتماعيّة" والتي ظلّت شعارات تنشد، في سيرورة الحركة، تحقّقًا يفتقد للمنطلقات الأولى التي كوّنتها ما بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011.

فهذه السيرورة، أي سيرورة الحركة الاجتماعية، نحو سيرورة منشودة؛ أي "الثورة" تُقابلها سيرورة المنظومة المهيمنة قُبيلَ وُبُعَيْدَ 14 جانفي 2011، سيرورة إنقاذها لذاتها وإعادة إنتاج أشكال هيمنة متلائمة مع الواقع الذي أفرزه هروب "بن علي" نحو سيرورة تنشد عودة الدولة لسلطة منظومة الأقلية التي تحتكر السلطة بمختلف أنواع مراكمتها وإنتاجها/ وإعادة إنتاجها؛ رمزيّة، اقتصادية، ثقافية واجتماعيّة.

مخططات تمكنهم من تأطير وتحديد تأويل تسمية أو تصنيف وضعيات يعيشونها طوال حياتهم داخل نسق كلي يجمعهم مع العالم الاجتماعي. فالأطر بهذا الفهم، تمكن الفرد من منح الأحداث والفعاليات والوضعيات معنى ووسمها بدلالات حسب تأطير معين لما يدركه ويعيشه و يواجهه، كما تمكنه بالتالي من تنظيم تجاربه وتوجيه أفعاله. وبذلك تووّل "أطر الفعل الجماعي" وتبسيط العالم/الواقع الخارج عن الأفراد والمحيط بهم في وضعية ما، عبر تكتيف مختلف تجلياته في إطار واضح ومحدد، لكن بطريقة تحشد المنخرطين/المنتمين أو من بإمكانهم الانتماء، أو من يحتمل أنهم مشاريع منخرطين لنيل المساندة من قبل الأنصار ولجم الأعداء وتعجيزهم.

¹⁴⁶سياسة فعل جماعي تقوم على ممارسة سياسيّة عمليّة غير مستندة على تنظيم وتكتيك وإستراتيجيا و نكتفي بتأطير نُكثّف فيه مقارنة مثالية حماسيّة تحلم بتغيير جذري للواقع

¹⁴⁷سياسة فعل جماعي تقوم على ممارسة سياسيّة عمليّة للصراع مع السلطة مستندة على تنظيم وتكتيك وإستراتيجيا تنطلق من تأطير نُكثّف فيه مقارنة براغماتيّة للواقع وفرص التغيير

ما بين السيوروتين نشأت علاقة تبعية متبادلة عنوانها مسارٌ انتقالي يجمع ثوارا دون ثورة وسلطة "سَقَطَتْ" دون سجن أو محاكمة. مسارٌ ناتج عن تعادل سلبي بين ضدّين متناقضين لم ينته أحدهما بنفي الآخر/علاقة "تشكّل" أشبه بشبكة عنكبوتٍ فيها علاقة تقاطع معقّدة بين الحقول والفاعلين أفرادا ومجموعات ومؤسسات.

هي، بالأساس، علاقة تشكّلٌ أنتجت نسيجًا جديدًا لعلاقات تبعية/ترابط متبادلة بين أعداء وضعت لهم، أي علاقة التشكّل الجديدة، قواعد جديدة للصراع داخل الحقول السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

في هذا السياق، سياق القواعد الجديد للصراع ولأشكال الفعل الجماعي، تنزّل مُقاربتنا للحملات الشبابية. إذ نعتبر أنّ كلاً من حملات مثل "مانيش مسامح"، التي انطلقت ضد مشروع قانون المصالحة ودامت لسنوات كردة فعل استبقت تمريره، وحملة "فاش نستناو" التي برزت أيضا كردة فعل بعد تمرير قانون المالية لسنة 2018، ثم حملة "باسطا-يزيكم" (شتاء 2019) التي انتهت في بدايتها، ليست مجرد حملات ضغط أو مناصرة أو معارضة لقوانين، بل هي على مستوى ذواتها المؤسسة ونواتها الصلبة وشعاراتها وتأطيراتها التأويلية للواقع، قلاع متقدمة ومتحركة لحركة اجتماعية تقاوم أفولها منذ بداية مسار الانتقال الديمقراطي والذي جعل المنتفضين منذ 17 ديسمبر 2010 لا يفتكون السلطة في مستوى أولٍ ثم يخسرون سياسيًا نقاط متتالية في لعبة التغيير الاجتماعي وذلك لصالح أعداء جدد وقدامى.

الحركة الاجتماعية التي عرفت شرارتها الأولى بحرق الشاب محمد البوعزيزي نفسه، لم تعرف مخرجا ثوريا بقلب نظام الحكم وتغييره جذريا بإيصال الثائرين عليه إلى السلطة، بل حُصرت في مسار تغيير انتقالي فرضته عليها موازين القوى وخصوصية السياق المحلي والإقليمي والدولي.

فما الذي حدث للذوات الثائرة داخل حركة لم تنته بثورة؟¹⁴⁸

لقد تفرقوا في تجارب تنظيمية مختلفة وفي مسارات فعل نضالي فردية وجماعية، في محطات مُتباينة إلى أن ظهرت الحملات التي تدعو لجمع الشتات وممارسة الفعل الجماعي ضد النظام القائم و"براكسيسه"، عبر فعل أفقي، في إطار ردّ الفعل/المقاومة، وهذا ما أُطلق عليه عنوان "الحملات الأفقية".

فما الذي نعينه بمفهوم 17 ديسمبر 2010 - 14 جانفي 2011 كحركة اجتماعية؟ ما هي نتيجة استقراءنا¹⁴⁹ النظري والإمبيريقى لمفهوم "الحملة"؟ أيّ «بورثريه» جماعي يمكن نحته سوسيولوجيًا لـ "فاعلي" الحملات؟ وأيّ "دياكرونيا" لهذه الأشكال من الفعل الجماعي وصولاً لحملة "باستا" التي بموتها في المهمد، أضافت لكلّ باحث في سوسيولوجيا الفعل الجماعي سطوراً تنتظر إسالة الخبر، وفي محاولة للإجابة عن سؤاليّ "لماذا وكيف" ينخرط الشباب في هذه الحملات؟

البحث الميداني نازّ نوقدها من كلّ خَشَب !

"أوليفي دي صردان"

قارَبنا هذا الشكل من الفعل الجماعي (الحملة) عبر بحث مُحفّز/مُساعد على الاكتشاف (Recherche heuristique). والمقاربة "الأوريستيقية" هي منهجية بحث ذات طابع فينومينولوجي تقوم على مبدأ أنّنا لا نستطيع بناء معرفة حول ظاهرة ما إلا انطلاقاً من

¹⁴⁸سُفيان جاب الله، الحملات الشبابية في تونس، في "سوسيولوجيا الاحتجاج والتنظّم". منظمة راج 2018
¹⁴⁹سنتبّع مقاربة إمبيريقية-استقرائية Empirico-inductive وذلك بالانطلاق من أسئلة بحث دون فرضيات تسعى لإثبات إطار نظري، نظراً لكون موضوع البحث (الحملات الشبابية في تونس) موضوعاً جديداً سياقياً ولم يُدرس من قبل (أو لم يُدرس بالشكل الكافي كما وكيفا)، وذلك بالمرور من تحليل ما هو خاصّ واستثنائي للوصول إلى استنتاجات معرفية أعمّ وأشمل.

الفئات التحليلية التي نصوصها ونكوّنها كأفراد حيث تفترض أن يكون الباحث قد عاش تجربة شديدة العلاقة بالظاهرة المدروسة والأمر ذاته بالنسبة للمبحوثين في ما بعد¹⁵⁰.

مثال: أن أعيش تجربة الفعل الجماعي داخل حملة ثم أقوم ببحث حولها وباستجواب فاعلين خاضوا معي أو مثلي نفس التجربة .

وذلك باعتماد تعددية منهجية¹⁵¹ تنشُد جمع أكبر كمّ نوعي ممكن من المعطيات حول مجال بحث محدود ومخصوص لأننا ننتقل في منهجية هذا العمل من المقاربة التي صاغتها "ناتالي هينيك"¹⁵² حيث لا يوجد منهج في حد ذاته أفضل من مناهج أخرى، بل إن نجاعة أي منهج تُقاس بمدى أقليمته/تطويعه مع ما هو مُستهدف من قبل الباحث وبحثه. وما هو مُستهدف في كل بحث إمبريقي (empirique) هو الإشكالية. وبالتالي فالمنهج يتحدّد حسب ما تتطلبه الإشكالية وما خلّصت له أسئلتها البحثية، وذلك في موازاة بين السعي للتفسير بطرح سؤال "لماذا" (الأسباب) والبحث عن الفهم بطرح سؤال "كيف" (المعنى الذي يعطيه الفاعل لفعله) للتمكّن من فكّ شيفرات موضوع بحث معقّد ومتعدّد الأبعاد والعوامل.¹⁵³

وبالتالي اعتماد تقنيات متنوّعة كالمقابلة نصف-الموجهة واستمارة الاستبيان وتحليل الخطاب في مقارنة حملة "فاش نستناؤ"، كذلك باعتماد تقنية الملاحظة دون مشاركة ومقابلات نصف موجهة في مقارنة حملة "باستا" وباعتماد تقنية الملاحظة بالمشاركة في حملة مانيش-مسامح، لكن ليس باعتباري باحثاً فقط، بل باعتباري فاعلاً منخرطاً في الحملة حاملاً لقبعة الباحث الذي ينشط في ذلك الحيز من الفعل الجماعي مع بقية

¹⁵⁰P.Paillé. « Recherche Heuristique » Mucchieli et collaborateurs, Dictionnaires des méthodes qualitatives en sciences humaines. éditions Armand Colin, 2019, pp 217-218

¹⁵¹Jean-Pierre Olivier de Sardan, « La politique du terrain », Enquête [En ligne], 1 | 1995, mis en ligne le 10 juillet 2013, consulté le 22 avril 2019. URL :<http://journals.openedition.org/enquete/263>

¹⁵²Heinich, N. (2006). Objets, problématiques, terrains, méthodes : pour un pluralisme méthodique. Sociologie de l'Art, opus 9 & 10(2), 9-27. doi:10.3917/soart.009.0009.

¹⁵³كما يذهب لذلك إدغار موران في تجاوزه، في انطلاقه من براديجم التعقيد (la pensée complexe) ، للتضاد بين الفرد والمجتمع أو كذلك نوربارت إلياس في مفهومه التشكّل (La configuration)

الفاعلين مع اعتبار البحث الإثنوغرافي ثم التحليل السوسولوجي انخرطا موضوعيًا لذات الفاعل الباحث في الحملة.

هكذا نُجيب عن أسئلة بحثنا بمُراوحة تحليليّة بين ما هو نظريّ، بمقاربة إمبيريقية-استقرائية، وميدانية لنُحاول أن نصلَ لاستنتاجات قد تساهم في إثراء المعرفة السوسولوجية حول ظاهرةٍ لا نعلم عنها ما يكفي لرفع هالة الغموض عنها من جهة، والخروج من "الدوكسا" التي تسجن الباحث في أسرِ الماقلبات والفرضيات المثبتة دون بحث وتجريب من جهة أخرى.

1. في مفهوم الحركة الاجتماعية 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 :

حسب الباحث السوسولوجي الفرنسي. المتخصّص في مُقاربة الحركات الاجتماعية "إريك نوفو" لا يمكن ترسيم مفهوم واحد للحركة الاجتماعية لأنّ ذلك سيوجّه الباحث بماقلبات ستتجاوزها الحركة لأنّها متغيّرة دائماً حسب السياق الجيو-بوليتيكي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وحسب حالة تشكّل العلاقات بين السلطة و الفاعلين المتعرّضين للهيمنة وبنية الفرص السياسيّة المتوقّرة. كما يذهب "ميلوشي" إلى اعتبار الحركة الاجتماعية نموذجاً تكوينياً تحليلياً تجريدياً وليست واقعا إمبيريقيا نفس. من خلاله الفعل الجماعي كما يخبرنا عنه البحث الميداني.¹⁵⁴

لذلك ننحو منهجياً إلى بحث استقرائي انطلقنا فيه من ما هو ميداني إمبيريقى للتوجه في ما بعد لآخر المقاربات المعاصرة لتثبيت مفهوم يتماشى مع ما يمكن تسميته بحركة اجتماعية في تونس.

¹⁵⁴Didier Le Saout, « Les théories des mouvements sociaux. Structures, actions et organisations : les analyses de la protestation en perspective », Insaniyat / إنسانيات, 8 | 1999, 145-163.

وبالتالي، انطلاقاً من تشخيصنا لما وقع بين 17 ديسمبر 2010 و 14 جانفي 2011 في فهم لا يلغي أنّ هذه الفترة امتداد لأحداث الحوض المنجمي 2008 وبداية لسيرورة تلت هروب "بن علي"، نعتبر أنّ هذه الفترة كانت عنواناً لحركة اجتماعية كشكل من أشكال الفعل الجماعي اشترك فيها مجموعة من الفاعلين جماعات وأفراد، ككلّ متجاوز لتنوعه الطبقي والفئوي، على تشخيص مشترك للواقع انتهى بتحديد وجود مشكل، المتسبب فيه أي الخصم والحلول والمطالب في تأطير Framing/ يُكثّف من وجود قيم مشتركة تجلّت في شعارات "الشعب يريد إسقاط النظام - شغل حرية عدالة اجتماعية كرامة وطنية - بن علي Dégage...". شعارات توحد تأويل الفاعلين لما يواجهونه وأين وكيف ولماذا، وكلّ ذلك في سيرورة تنشد صيرورة ألا وهي "الثورة".

إنّ عدم تحقّق الصيرورة الثورية لا يلغي عنها صفة الحركة الاجتماعية ولا نجاحها في تحقيق نوعيٍّ لكمّ من المطالب، (ونجاح أو فشل الحركة مربوط بتأويل الفاعل لتجربته فيها/بذاتية الباحث أو الفاعل أو الباحث-الفاعل أحياناً)، في سيرورة لم تنته بعد في تحقيق جزئيٍّ لمطالبها وذلك بتحوّلها، (وذلك بتغيّر أطر/Frame تأويل فاعلين مهيمين داخلها)، إلى حركة تفعل داخل مؤسسات النظام وخارجها بعد أن كانت قائمة على فاعلين مقصيين من المنظومة قبل 14 جانفي 2011 صاروا بعد ذلك التاريخ، أو جزء مهمّ منهم، داخلها (المجتمع السياسي (الأحزاب)-البرلمان-الهيئات الدستورية-أجهزة الدولة) يمارسون فعلاً جماعياً مختلفاً في أسلوبه لكنّه ينشد التغيير وإن كان هذا التغيير من الداخل مختلفاً عن التغيير في الشارع. فالأهمية الإستراتيجية للحركة الاجتماعية لا تختزل فقط في ما تحقّقه من مطالب بل بالأساس في أفقها والصيرورة المنشودة من سيورتها.

إذ على عكس الأحزاب السياسية التي لها أهداف تخصّها ولها تقاطعات ومصالح تحتكم إليها، فإن الحركات الاجتماعية تُمارس من خلال فعلها الاحتجاجي -مهما كان الشكل الذي أخذه- ما يُعرف بالـ"الميتا-سياسي" (Métapolitique)، فأهدافها لا تقتصر على مساءلة

الحكومة فقط في المسائل السياسية بل إنها تسعى إلى فرض تغيير أعمق يلمس جميع أوجه الحياة الاجتماعية وأولوياتها (التشغيل / العدالة الاجتماعية-السيادة...)¹⁵⁵.

II. في محاولة نحت استقرائي لمفهوم الحملة:

نظريًا، بالنسبة إلى "تشارلز تيلي" و"سيدنيتارو"، فإنّ الحملة هي مجهود عام جماعي دائم ومنظم يُعنون ويوجّه مطالب جماعية لسلطات معينة ومراكز نفوذ وقوة داخل المجتمع في إطار الحركة الاجتماعية (Compagne du mouvement social)¹⁵⁶. وتميل الحملات في المطلق، استنادًا إلى فهارس ومراجع في أساليب الصراع السياسي، إلى جمع الإمضاءات والإعلان عن ملتقى شعبي ثمّ توقيع عريضة والدعوة إلى وقفات احتجاجية أو اجتماعات عامّة، بينما يعتبر الباحثان أن المظاهرات هي أكثر تمظهرات الصراع تطورًا. وانطلاقًا من هذه الأسس نتبيّن أن الحملة تجمع ثلاثة مكونات أساسية:

أولاً، أولئك الذين يلتقون ويشكلون المطالب.

ثانياً، الذين تُرفع لهم هذه المطالب (الخصم).

ثالثاً، جمهور معين يوجه إليه خطاب حامل للمطالب التي تهمة.

وهكذا، فإنّ التقاء مجموعة من المناضلين على تأويل معين للواقع والعمل بجهد ليلا نهاراً، سيجعلهم يجمعون من حولهم الأنصار سواء في المظاهرات والوقفات أو في الالتزام حركياً على مستوى الممارسة التي تطرحها الحملة، مما يمكنها من الدوام والتواصل.

الحملة هي ذلك البراكسيس، حسب مصطلح غرامشي، أي الممارسة السياسية العملية لمجموعة من المهام التي يضعها مناضلون من أجل مطالب ما، في سياق معين، وبالاتفاق

¹⁵⁵تشارلز تيلي- الحركات الاجتماعية 2004/1768 - ترجمة ربيع وهبة- المجلس الأعلى للثقافة-2005- القاهرة، ص 33
¹⁵⁶(Tilly et Tarrow ,Politique du conflit, « 2009 » pp199.Ed : Sciences po. Paris)

حول المنطلقات والغايات والأساليب، والتواضع على حدود زمنية ومكانية وتنظيمية تحدد مظاهرات الصراع في محطة ما من سيرورة الحركة الاجتماعية.¹⁵⁷

استقرائياً، في مراوحة منهجية ما بين النظري ونتائج البحث الميداني واستخلاصاً لأعمال سابقة، نستنتج المفهوم التالي للحملة:

"الحملة هي شكل من أشكال الفعل الجماعي الذي يمكن أن يكون في إطار سيرورة حركة اجتماعية. وهي، في السياق التونسي. منذ 14 جانفي 2011، حملة شبابية¹⁵⁸، (في استبياننا وبحثنا عن معدّل أعمار فاعليها)، مندرجة في نسقٍ بحث فاعلين منتمين لشتات المشتركين في تأطير/Framing "الشغل الحرية العدالة الاجتماعية والكرامة الوطنية" عن تفعيل سيرورة الحركة الاجتماعية 17 ديسمبر 2010 -14 جانفي 2011 نحو صيرورة ثورية أو الإبقاء على مشروع هذه الصيرورة ممكنا بمقاومة سعي النظام لإعادة إنتاج نفسه. فهي شكل من أشكال البنية/البنى النائمة (Abeyance structure)¹⁵⁹. ومفهوم البنية النائمة هنا نعني به قدرة الحركة الاجتماعية، في سيورتها، على الحفاظ على وجودها والديمومة في الزمن وسط واقع معادٍ لها لا تتوفر فيه بنية فرص سياسية تمكّنها من المواجهة فتلعب دور التمهيد للانتقال من فترة تحشيد نوعي للفعل الجماعي إلى أخرى عند توفر الشروط الموضوعية والسياق المناسبين.

فالحملة هي ذلك الحيز التنظيمي الأفقي المؤقت-أي أنها منطقة فعل تطفو فجأة في زمن مؤقت للصراع مع السلطة-الحيز المحدد باشتغال إطار تأويلي مشترك لوضعية ما من قبل أفراد يعتبرونها وضعية "مشكلة" فيجتمعون في سياق معين لتحديد المشكل، طبيعته، المتسبب فيه/الخصم، الحلّ والتكتيك وإستراتيجية في المواجهة/ في الفعل الجماعي، وذلك في شكل تنظيمي شبكيّ أفقي يجمع ذوات مؤسسة مختلفة (متحزبة وغير متحزبة

¹⁵⁷سُفيان جاب الله، الحملات الشبابية في تونس، في "سوسيولوجيا الاحتجاج والتنظم". صفحات 40-41. منظمة راج 2018

¹⁵⁸سُفسرُ لم هي شبابية في العنصر الموالي

¹⁵⁹Johsua, Florence. « Abeyance structure », Olivier Fillieule éd., Dictionnaire des mouvements sociaux. Presses de Sciences Po, 2009, pp. 17-23.

ومن كل الفئات) وينتشر.. بشكل جذموري¹⁶⁰ لا مركزي ولا هرمي، فتصبح الأطر التأويلية للحملة قابلة للتبني والمرور للممارسة من قبل أي فرد يتبناها، في أي مكان دون ارتباط تنظيمي مركزي عمودي بالحملة وذلك استنادا إلى برنامج عمل محدد بمهام على قاعدة أهداف محددة بتكتيكات واضحة. فهي حملة حينية سياقية مؤقتة،¹⁶¹ (Ad hoc) تنتهي بانتهاء أسباب وجودها "

أ- كيفية خلق القرار داخل حملة أفقية¹⁶²

إنّ القيادة في الحملة جماعية، فهي، في نموذج "مانيش مسامح"، ليست حملة تطلقها منظمات الفعل الجماعي بل أفراد يبادرون بشكل أفقي، على عكس "فاش نستناو" التي أطلقها أفراد متحزون.

الحملة شكل من أشكال التنظيم المؤقت يُمارس فيها الفعل الجماعي على مستوى القيادة وتؤخذ فيها القرارات أفقياً. في هذا السياق يجيبني أحد المستجوبين "الفكرة هي التي تقود وليس الفرد". ينطلق هذا الجواب من إطار تأويلي للفعل الجماعي باعتبار أن الأفقية ردة فعل (بالنسبة إلى الشباب غير المتحزب) على ممارسة الديمقراطية بشكل عمودي مركزي فيه تسلط وتفرد في اتخاذ القرارات. تأويل يعتبر أن الأنا يجب أن ينصهر في أنا متعددة الذوات، لا في سلطة الأنا الجمعي. بمعنى، وكما يقول نفس المستجوب "إذا كنا في اجتماع من اجتماعات الحملة ثمانية أفراد، فإن الفكرة هي تاسعتنا". ينتج ذلك عن تفاعل الاقتراحات والخواطر والأفكار والتمثيلات داخل الأطر التأويلية المختلفة وبذل

¹⁶⁰مقابل النظام التراتبي الذي يفترضه مفهوم التشجير، حيث يُنظر إلى الشجرة باعتبارها جنرا وفروعا، جذعا وأغصانا، ماضيا ومستقبلا، ضد مفاهيم التكوين والنمو والتاريخ والتطور، ومقابل الشجرة التي تشكل محورا تنتظم حوله الأشياء في دوائر، وتعيّن نظاماً من النقاط والأوضاع فتفرض منظومة تراتبية، وانتقالاً لأوامر تصدر عن مركز وتعمل وفق ذاكرة استرجاعية تُوّطر الممكن، ضد كل ذلك، يقوم مفهوم الجذمور الذي يعيّن عالما ترتد فيه حقيقة الأشياء إلى علائق وبنيات لا تحيل إلى حدودها المكونة، فتضعنا أمام شتات، أمام ترابط ظرفي لا يخضع لمبدأ قارّ. فالفكرة، فكرة الحملة مثلاً، هي لحاملها لا لباعثها فقط، و تتحوّل إلى فعل حيث تجد الظروف الملائمة دون علاقة عضوية بمركز انبعاث الفكرة

¹⁶¹ Ad Hoc : créée dans un but bien déterminé. Elle cesse d'exister dès que l'objectif pour lequel elle a été créée est atteint.

¹⁶²سُفيان جاب الله، الحملات الشبابية في تونس، في "سوسيولوجيا الاحتجاج و التنظيم". منظمة راج، 2018، ص 60

مجهود جماعي لتوحيدها في تأطير تأويلي موحد على مستوى الأفكار المستخلصة. فالفكرة النهائية هي فكرة الجميع وليست فكرة حصرية لأحد منهم، هي ناتجة عن جهد جماعي وإبداع المجموعة.

ب- كيف يتم ذلك؟

يتم توزيع المهام حسب الوقائع، أي أن كل واقعة تفرض اختيار الفرد الأقدر على المواجهة خاصة على مستوى الظهور الإعلامي، فلا وجود لناطق رسمي دائم. وهذا ما يعرف بـ "vote sans candidats" إذ لا يترشح أحد للقيام بمهمة، فالمجموعة هي التي تقترح وتناقش لتنتهي بتوكيل مهمة لأحد العناصر. ولا تُتخذ القرارات بالاستناد إلى الأغلبية في صورة وجود اعتراض، بل عبر الحرص على النقاش كي لا يبقى أيّ عنصر معترضاً أو غير موافق. فإمّا أن يتم إقناعه أو أن يقنع هو الأغلبية. فهو بذلك جهد يتمثل في خلق جماعي للفكرة والقرار وخطة العمل.¹⁶³

ج- أي مصير للحملات أم أي مصير للفاعلين داخلها؟

يذهب "تشارلز تيلي" و"سيدني تارو" إلى ضرورة توضيح الفرق بين ما يُسمّيانه "La base du mouvement social" أي قاعدة الحركة الاجتماعية وهي مجموعة منظمات وفاعلي الفعل الجماعي ذوي رأسمال رمزي علائقي قيمي مشترك، و"La campagne du mouvement social" أي الحملة التي تنتجها الحركة الاجتماعية وهي النضال المحدد بمدة ضدّ السلطة القائمة باسم فئة مُهيمن عليها¹⁶⁴. فالحملة ليست منظمة فعل جماعي

¹⁶³ المرجع السابق

164 (Tilly et Tarrow ,Politique du conflit, , « 2009 » pp197.Ed : Sciences po. Paris)

بل هي فعل جماعي تمارسه منظمة/منظمات وفاعلين. وبالتالي فالحملة كحيز تنظيمي مؤقت لا ينجز عنها إنتاج منظمة في شكل حزب أو حركة إيديولوجية بقدر ما هي أرضية خصبة لجعل شتات من الفاعلين المتحيزين وغير المتحيزين يمارسون الفعل الجماعي في إطار أفقي محدد في الزمان والمكان خدمة لسيرورة الحركة الاجتماعية من جهة، وتكويننا مستمرًا لقدرة الفاعلين، المشتركين طبقيًا/فئويًا/فكريًا وبالأساس على مستوى تأطير/ Framing الواقع، على حوص سياسة الصراع ضدّ عدوٍ إستراتيجي مشترك للحركة.

د-لم هي شبابية وما معنى أن تكون كذل



ك؟

165

أن تكون شابا فذلك يعني أنك كفردٍ ينظر إليه دوما على كونه سيرورة في انتظار صيرورة، زمن اجتماعي يسبق سنّ الاستقرار والثبات أو في مقاربة أخرى مجالا اجتماعيا هشا¹⁶⁶، مشروعا ينتظر التحقق. مشروع أب، مشروع مُنتج، إلخ... فالناشط السياسي في الحزب هو مشروع فاعل حزبي لا يصل لمراكز اتخاذ القرار ولا يرتقي، في هرميته، إلى مركزيته

165 ©NOUREDDINE AHMED

166 RENÉ, J. (1993). La jeunesse en mutation. D'un temps social à un espace social précaire. Sociologie et sociétés, 25(1), 153–171. <https://doi.org/10.7202/001628ar>

الديمقراطية التي يحتكرها المؤسسون والممولون الذين هم الأكثر استقراراً على المستوى المهني الأكثر مراعاة للرأسمال الرمزي "النضالية"، للرأسمال الثقافي "الإيديولوجيا والشهائد" وبالأساس للرأسمال الاقتصادي . وكلّ هذه "الرساميل" لمراكمتها تتطلب، في مجتمعنا، سنّاً تتجاوز الأربعين عام.

لذلك تُنقَر الأحزاب، كمنظمات فعل جماعي، الشباب وخاصة أولئك الذين عايشوا 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 باعتبارهم يعتبرون كونهم فاعلين قياديين مؤثرين في التحركات الاحتجاجية في الشارع (قيادة مظاهرات واعتصامات) وفي المقابل هم مجرد ديكور أو ملء للفراغ بما يناسب داخل الأحزاب.

بالتالي فالحملة كانت إبداعاً شبابياً لشكل جديد من أشكال الفعل الجماعي يسمح لهم بالفعل والمبادرة والقيادة وتجديد فهرس الصراخ باعتماد شعارات تتماشى مع ثقافة الأولتراس مثلاً وأغاني الراب وحتى إدراج نعوت بمعجم يُعتبر "بديئاً"، وبالأساس يسمح لهم بجعل إطار/Frame التغيير الجذري يُهيمن على ممارستهم العملية لما هو سياسي في تناقض مع جيل لا يرى تغييراً راديكالياً بقدر ما يبحث عن تحسين شروط الهيمنة. والحملة، بنفس المنطق، تُنقَر من ليسوا في سنّ الشباب لكونها، في خصوصيتها التونسية ما بعد 14 جانفي 2011، في منطلقات فعلها في خطابها وأسلوبها لا تتماشى مع التطبّع السائد لدى القوى المحافظة الكلاسيكية وسط الحقل الاحتجاجي، تطبّع لا ينتظم أفقياً في حيّز تنظيمي مؤقت لا هرمية فيه ولا أغلبية تهيمن على أقلية من جهة ومن جهة أخرى خطاب، على مستوى الشعارات خصوصاً، لا ينهل من نفس "البيوغرافيا"¹⁶⁷ والمخيال والتنشئة ولا يخجل من أن يصمّ الخصم بكلام يعتبر بالنسبة للمحافظ بديئاً أو غير ملتزم كشعار "هذي مش دولة هذي ضيعة محروس" أو "حكومة طحانة"¹⁶⁸ وكذلك توظيف

¹⁶⁷ بيوغرافيا: هي كلمة غير عربية تأتي من الإغريقية: βιογραφία عن طريق اللاتينية: biographia) هي دليل قراءة السير الذاتية مع حساب زمني للتعليم والخبرات والمعارف العلمية والعملية والمراكز التي تحققت لصاحب السيرة ¹⁶⁸المزيد من التفسير لهذه الفكرة أنظر سُفيان جاب الله، الحملات الشبابية في تونس؛ "السيستم طحان"، في "سوسيولوجيا الاحتجاج والتنظم،.. منظمة راج 2018، ص 57

أغاني وأهازيج "الأولتراس" وتقنيات/أدوات تشجيعهم مثل "الطنبور والفلام" وارتداء أقنعة "أنونيموس".

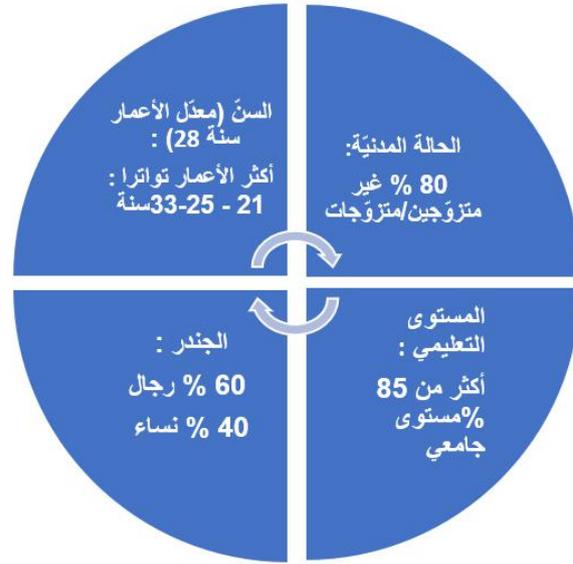
وانطلاقاً مما سبق توضيحه ، فإنّ كلاً من "مانيش مسامح" و"فاش نستناو" و"باستا"، هي حملات يمكن توصيفها بكونها مظاهر مختلفة لسيرورة واحدة، ألا وهي سيرورة الحركة الاجتماعية التي انطلقت بعد إحراق محمد البوعزيزي نفسه، سيرورة تتراوح فيها المحطات النضالية بين مد وجزر، بين الفعل وردة الفعل حسب تغير السياقات، وبالتالي حسب موازين القوى. محطات أثبتت أن إطار "المسار الثوري" كإطار تأويلي للواقع يرى الحركة مستمرة رغم ضعف الفعل الجماعي، فيحاول إحياءه في محطات مختلفة. هذا التأطير -أي تأويل الواقع انطلاقاً من إطار "السيرورة الثورية"- يحشد ذواتاً متعددة نجدهم في حملة "مانيش مسامح" ثمّ "فاش نستناو" مروراً بحملة "باستا". هذه الذوات المؤسسة للحملات والمؤثرة فيها شاركت -أو أغلب مؤسسيها- في الفعل الجماعي الذي نادى بإسقاط النظام منذ 17 ديسمبر 2010، هذا ما جعلنا نبحت عن محاولة رسم "بورترية" لهذا الفاعل اللاكلاسيكي وذلك حسب ما تمكّننا من استقرائه من خلال البحث الميداني الذي شمل الحملات الثلاث.

III. « بورترية » جماعي لفاعلي الحملات

هذا "نموذج" تقريبي تكثيفي غير اختزالي لسمات وخصائص وملامح الفاعل المؤثر والمحدّد¹⁶⁹ في الحملات الثلاث، قمنا ببنائه باعتماد تعددية منهجية بتنوع تقنيات جمع المعطيات منذ 2015 حتى 2019 باعتماد تقنية الملاحظة الكمية، الملاحظة بالمشاركة وكذلك باستمارات استبيان (أي ما يُطلق عليه كُوشوي مصطلح l'observaire أي القدرة على مطابقة شبكة ملاحظات كمية مع استمارة استبيان ذات مداخل

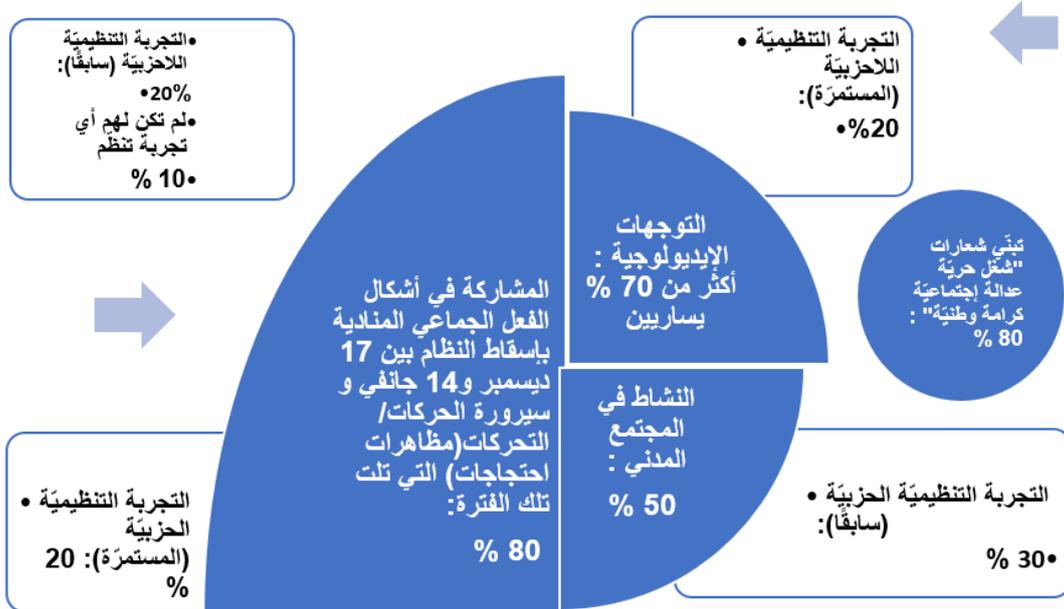
¹⁶⁹ حددنا أنه فاعل مؤثر بدوره في المظاهرات ومختلف التحركات، مدى حضوره الاجتماعات ونشاطه الفايبيوكي إلخ

متعددة¹⁷⁰) مكنتنا من رسم خارجي لما سميناها، على الطريقة الصحفية، بـ«بورثريه» الناشط المؤثري في "مانيش-مسامح/فاش-نستتاو-باستا-ي-زيكم".¹⁷¹



¹⁷⁰Calvignac, C. (2015). À leur sac défendant, ou l'équipement des passant·e·s comme révélateur des rapports sociaux de sexe. Cahiers du Genre, 59(2), 173-194. doi:10.3917/cdge.059.0173.

¹⁷¹ملاحظة : 60 بالمائة من الفاعلين المستجوبين الذين كونا قاعدة البيانات لهذا "البورثريه" شاركوا في الحملات الثلاث.



IV. -باستا : انتحار في المهدي أيّ درس يمكن استخلاصه من حملة

"بأستا" ؟ :



172

"باستا" بالإيطالية أو "يَكْفِي" بالعربية هي حملة أطلقتها مجموعة من الناشطين السياسيين (متحزبين وغير متحزبين) كمبادرة لحشد فعل جماعي مطلبه إسقاط الحكومة وتحريك جزء كبير من الفئات الاجتماعية المتضررة (سياسيا ثقافيا وبالأخص اقتصاديا واجتماعيا) لتعلن أنّها اكتفت من كلّ الضرر الذي تعرّضت له جرّاء منظومة المسار الانتقالي.

وأصل العبارة، "باستا"، لحركة "زابايتستا" بالمكسيك « Ya bastaj! » ورُفِعَت كشعار للدعوة لتغيير سياسة الصراع الكلاسيكية (التحزب والانتخابات) وعدم نجاعتها في تحقيق تغيير لصالح المُهَيِّمِ عليهم، أو كأنّ لسان الباعثين لمشروع الحملة (ثلاثة أفراد اختاروا اسم الحملة التقيتهم قبل إعلانهم عنها) يؤولون الواقع قائلين:

"كفانا من سياسة الصراع ولنعد إلى سياسة الحلم. لنحلم بالصيرورة تتحقق
دون الخضوع لسياسة صراع في إطار سيرورة تُملِي علينا ردّ الفعل لا الفعل. "

إذ يحدثُ أن تُصبح سياسة الصراع من أجل تحقيق الشعارات المركزية لحركة "17
ديسمبر/ 14 جانفي" قائمة على حقّ النفاذ إلى مجتمع الاستهلاك، لا الثورة على نظام
اللاعادلة المؤسس له.

فلم تعد الثورة "صيرورة" منشودة لسيرورة ما بعد 14 جانفي 2011، بل صار النفاذ
لمجتمع الاستهلاك -عبر ما هو إصلاح مقنّن للمنظومة- صيرورة جديدة للسائرين في درب
فعل جماعي عوّض مطلب إسقاط النظام بمطلب إصلاحه وجعله يمنح الفاعلين-ومن
ينوبونهم - مكانا داخل مصفوفة (Matrice) ال IN (الداخل) بعد أن ملّوا من كونهم
Outsiders (خارجيين) أبديين وذلك بعد تغيير الوضعية الاجتماعية المهنية لطيف كبير
من مُناضلي اليسار بالأساس بعد تخرّجهم من الجامعة وكذلك بعد عفو تشريعي عام
وتعويضات للمفروزين أمنيا بتوظيف في قطاع عمومي أو باستثمار رؤوس أموال رمزية
علائقية أدخلتهم سوق المجتمع المدني. فصار من كانوا خارج سوق العمل داخله، وتغيّر
وعيهم الفئوي والطبقي، وبالتالي أثر ذلك على أيّ صيرورة ينشدونها للصراع مع النظام من
تغيير راديكالي عنيف إلى إصلاح سلمي من داخل مؤسسات المنظومة القائمة.

يحدثُ أيضاً أن "تنتحل" الدولة، (حسب تعبير أحد المُستجوبين)، صفة الديموقراطية
والحرية والعدالة بفضل مسار انتقالي طهرها من وصمة الاستبداد. مسار انتقالي أعطى
ل"النظام الحاكم" شرعية انتخابية تُبيح حظر الثورة وغيّص البصر عن مطالب العدالة
الاجتماعية.

ففي عهد بورقيبة وبن علي قايس "النظام" المجتمع على حريته مقابل الأمن ودعم
الطبقة المتوسطة وكفالة الفقراء، وذلك عبر وضع أسس دولة رعاية اجتماعية. أما الآن
وبما أنّ التغيير لا يتمّ إلاّ عبر صندوق الاقتراع، والذي لا يفوز فيه سوى من يستأثر بالمال

والإعلام، فالسلطة لن تخدم إلا مصالح من أنتجها في مأمن تام من أي تغيير ثوري صار حدوثه فرضية تتماهى مع الخيال.

فتأطير/Framing "الحلم" الذي يُقاربُ الواقع انطلاقاً من أنه يجب العودة لممارسة سياسة الحلم التي هيمنت على السنة الأولى التي تلت سقوط "بن علي" أي، كما سمّاها "حكيم باي"، سياسة تتغذى على الحلم و التمرّد على التكتيك والحسابات العقلانية في ممارسة الفعل الجماعي الذي ينشد تغييراً جذرياً. سياسة تعود للخيال، خيال لم تُصادره سيرورة الأحداث.

هؤلاء الفاعلون، في بعثهم لحملة "باستا" أرادوا العودة لمربّع 14 جانفي 2011 أي لحظة الchaos/الفوضى التي تلت ترنّح النظام، حيث مارسوا سياسة الحلم لا سياسة الصراع. حيث كان الشباب، الذي انخرط في الفعل الجماعي، لحظة الانسحاب التكتيكي للنظام بعد أن قدّم قربانه للفعل الجماعي (القربان بن علي والحاشية)، وسط الحركة يمارس الحلم كإطار يؤوّل به الواقع، فقد كان بين واقع موصوم بالإقصاء والظلم والأعدالة وبين حلم ينشدون فيه الحرية والعدالة والكرامة.

إنّه تأطير وُصِمَ في ما بعد بأنّه ممارسة مثالية رومنسية افتقدت المرور للفعل المُنظّم تحت سياسة صراع تلتقف سلطة كانت مرمية في الشارع وتنتظر من له القدرة على قنصها. فهم لم يمارسوا سياسة الصراع واكتفوا بالحلم لأن الحركة كانت مفتقدة لتنظيم جاهز، وإلى ميزان قوى في صالحه وسياق جيو-سياسي أيضاً، وكانت مفتقدة لفهرس ممارسة عملية "براكسيس" يأخذ الصراع من جانبه الاحتجاجي المطلبي إلى ضفة التحقق عبر برنامج مهام واستراتيجية وتنظيم للفعل الجماعي بغاية الوصول إلى النظام بعد إسقاطه، وذلك لغياب تنظيم قادر على ذلك.

لكن ما يفتقدونه اليوم هو تلك القدرة على الحلم التي ضُعفت بعد هيمنة سياسة صراع تقوم على مُقاربة براغماتية للواقع، للتنظّم و للانخراط في سيرورة الفعل الجماعي الذي لم

يُعدّ ينشد صيرورة ثورية بل إصلاحاً لمنظومة العدالة الانتقالية. صاروا يفتقدون لممارسة تنطلق من Framing "الثورة" قائم على تأويل راديكالي للواقع بالسعي لتغييره جذرياً. وكأنّهم يريدون العودة بالزمن لمرحلة ما أسموه بـ "الزخم الثوري" حيث كانوا يبدعون ويخلقون ويتخيّلون الفعل الجماعي كفعل ينشد التغيير الجذري.

أ-ثوّارٌ دون ثورة !

إن كان الباحث "أصف بيات" يتحدّث في مقولته "ثورة دون ثوّار"، عن غياب صياغة فكرية لرؤية ثورية -أيّاً كان الشكل الذي ربما اتّخذته- في ما حدث في "الربيع العربي" حيث لم تكن هناك رؤية بديلة للمؤسّسات والعلاقات الاقتصادية الجارية في ظلّ الأنظمة القائمة¹⁷³ فكانت ثورة في شروط حدوثها، لا ثورة في وجود فعل و فاعلين ثوريين. فإننا في هذا المستوى من التحليل نتحدّث عن ثوّارٌ دون ثورة ! فوجود فاعلين برؤى "ثورية" بديلة للواقع والمنظومة القائمة في إطار مشروع تغيير جذري في سياقٍ كلّ ما فيه يُوجي لهم بتوفّر كلّ الشروط لاندلاع ثورة لكن دون حدوثها، جعل هؤلاء الفاعلين دون مكانٍ وزمان يمارسون الخيال دون القدرة على تحويله لفعل جماعي. أو، كما ذهب إلى ذلك "جون هولواوي" في كتابه "Change the world without taking power"¹⁷⁴، إنّ الثورة ليست افتكاً للسلطة لإلغائها بل هي محاولة جعلها تتحلّل وتنهار لكن دون افتكاكها. فربما هم في نسق مماثل، عن وعي أو دون وعي، يبحثون عن جعل السلطة تتعقّن بتراكم تناقضاتها لا لافتكاكها بل لبناء نظام على أنقاضها. فتصيرُ الثورة ديمومة معارك جزئية وكمية، مختلفة ومتباينة في ديمومة فعل فردي وجماعي تجعل السلطة تموت ببطء. ثورة لا تتطلب ثورة !

ب-قانون "الثورة تأتي في الشتاء" !

173 هبة خليل، حوار مع أصف بيات، موقع "مدى"، (2018) الرابط : <http://v.ht/mGMJ>

174 John Holloway « Changer le monde sans prendre le pouvoir », éd. Syllepse-Lux, 2007

إن كانت "مانيش مسامح" ردّ فعل على مشروع قانون المصالحة، و"فاش نستناؤ" ردّ فعل على قانون الماليّة 2018، فعلى أيّ قانون ردّت حملة "باستا" الفعل؟

هكذا سألنا الفاعلين الرئيسيين في الحملة و هكذا اشتركوا في الإجابة:

« كلّ الظروف مُواتية !إنّه الشتاء؛ تعودنا أن يثور الشعب في الشتاء، في تلك الفترة شعرنا أنّ التاريخ قابل لإعادة نفسه ..إنّه جانفي شهر الثوّار !»

تكرّر هذه الإجابات حول اعتبار فصل الشتاء¹⁷⁵ برمزيّته التاريخيّة، رمزية 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 وانتفاضات قبل هذه التواريخ، وبطقسه الذي يؤثر على المناخ النفسي. للمتعرضين للظلم والهيمنة فصلا منتجا للفعل الجماعي ، جعلنا نفكّكها في إطار تحليل نقديّ لدلالات ومعاني هذا الخطاب.

فهل أنّ فصل الشتاء بتكرّر وانتظام حدوث أحداث احتجاجية كلّ سنة فيه صار خاضعاً لقانون "ثورة تأتي كلّ شتاء" كما تخضع الطبيعة لقوانينها؟ هل صار الفاعلون يؤمنون أنّ ظواهر المجتمع كما ظواهر الطبيعة حتميّة الحدوث عبر علاقة سبب-نتيجة أي أنّ توفرّ شروط معيّنة يُحتّم حدوث حدث معيّن وأنّ الاحتجاج خارج عن إرادة الأفراد ويأتي إليهم كواقع ينتجه لا علاقة لذواتهم به؟ ؟

بالتّالي حملة باستا وكأنّها -وكأنّ "باعثيها"- من أنصار مقاربة وضعيّة تحديديّة تفسيريّة سببيّة للظواهر الاجتماعية يعتبرون أنّه توجد قوانين يخضع لها المجتمع وباكتشافهم لها يمكنهم إنتاج حركة احتجاجية أو حركة اجتماعية تصير ثورة فقط بتشخيص للواقع يعتبر الهشاشة الاقتصادية بغلاء الأسعار والبطالة وخاصّة قدوم الشتاء مع ضعف النظام هي أسباب سنّتج (علاقة سبب-نتيجة أو مثير-استجابة) تحرّكا للجموع لإسقاط النظام.

هذه الحملة لم تقم على اقتناص فرصة سياسيّة والتعامل معها حسب حجمها كما فعلت حملة "مانيش مسامح" و"فاش نستناو" بسقف مطالب مرتبط بالمدى الذي تتيحه

¹⁷⁵ هو فصل، و شهر ديسمبر بالتّحديد، العطل المدرسية و الجامعية.

الفرصة التي قدّمها الخصم بل قامت على اعتبار وجود مناخ ملائم لحشد الأفراد للاحتجاج الذي لا سقف لمطالبه. كما أنّها، حسب الملاحظات الإثنوغرافية ومقابلة نصف-موجّهة مع مؤسّسها، بدأت بمحاوطة حزبيّة في تركيبها ذلك ما أنتج صراعات على قيادتها والتحدّث باسمها قبل حتّى نزولها للشارع.

٧. "دياكرونيا الحملات":

أ- في تشكّل معقّد لكيان الحملات:

في تحاليل الجيو-سياسة، دراسة "الدياكرونيا" هي تحليل التطوّرات التي تطرأ على وضعيّة، ثقافة، مجال أو مجموعة عبر الزمن وذلك على أمد قصير أو متوسط أو طويل. فأيّ تطوّرات يمكن مُقاربتها على مستوى الحملات منذ "مانيش مسامح" (2015) وصولاً إلى "باستا (2019)"؟

تطوّر إنتاج الفاعلين للحملة كشكل فعل جماعي بتطوّر مسار الانتقال الديمقراطي وخاصّة التشكّل المعقّد لعلاقات السلطة بعد انتخابات 2014، فلم تعد الحملة مجرد شكل احتجاجي أبدعه فاعلون في سياق معيّن بل تحوّل إلى تكتيك في إطار إستراتيجيا لإعادة إحياء المسار "الثوري" بالسعي للحدّ من تقهقر قوى اليسار عموماً والبحث عن خطّ دفاع يسمح بعكس الهجوم حين يتوفّر السياق المناسب.

بمعنى أنّ الحملة كممارسة أفقيّة في تنظيم الفعل الجماعي هي "براكسيس" أو ممارسة عملية للفعل الجماعي لذوات متحزبة وغير متحزبة تؤمن باستكمال مسار ثوري لحركة اجتماعية حاصرها المسار الانتقالي. بمعنى أن الأفقية ليست تنظماً أفقياً بقدر ما هي إستراتيجية لتجميع وإعادة حشد الفعل الجماعي بتأطير تأويلي للواقع يعتبر الحركة الاجتماعية في أفول، فالمركزية الديمقراطية كتنظيم عمودي لأغلب التنظيمات المتحدثة باسمها (خاصة اليسارية) عاجزة عن تحريك الشارع، وبالتالي تمارس الأفقية كتكتيك

مرحلي يجمع الذوات والمجموعات والتنظيمات التي تعبر عن ضرورة استكمال المسار الثوري للحركة الاجتماعية 17 ديسمبر/ 14 جانفي، والمتناقضة بسبب صراعات إيديولوجية أو على مستوى التكتيك والإستراتيجيا، وذلك لرد الفعل في ظل حالة من الجزر يشهدها الفعل الجماعي.¹⁷⁶

يمكن القول أنّ حملات "مانيش مسامح-فاش نستناو-باستا" هي حملات أفقية شبابية يسارية تجمع بين شباب متحزب وغير متحزب، ينتمون للطبقة الوسطى، شاركوا منذ 17 ديسمبر 2010 وصولاً لـ 14 جانفي 2011 أو انطلاقا من مرحلة ما بعد هذا التاريخ في سيرورة للحركة الاجتماعية 17 ديسمبر- 14 جانفي، متبنين لشعاراتها المركزية "شغل حرية عدالة اجتماعية كرامة وطنية".

لكنهم مُنقسمون/انقسموا لتوجهين رئيسيين: الأول فيه من ينشدون الصيرورة الثورية بإسقاط فعلي للنظام وبذلك ينخرطون في إسقاط مشاريع إعادة إنتاجه لمنظومة ما قبل 14 جانفي 2011 بقانون المصالحة وقانون المالية وتوجهاته السياسية ومختلف خطواته التشريعية كانت أو تنفيذية يرؤن فيها تهديدا لمكتسبات ما مضى- في سيرورة الحركة، وما ينشدون صيرورته. والثاني ينطلق من تأطير براغماتي للواقع باعتبار أنّ التغيير لن يحدث إلا من داخل مسار الانتقال الديمقراطي-العدالة الانتقالية (ارتباط اسم حملة مانيش مسامح بهيئة الحقيقة والكرامة) وبتحسين شروط الهيمنة وذلك بدخول لعبة الديمقراطية التمثيلية تحت طيف اليسار (ارتباط حملة فاش نستناو بحزب العمال).

ب- ليسوا ثورًا إنهم رجال مطافئ !

هكذا يصمُّ أحد المُستجوبين¹⁷⁷، من أنصار التأطير Framing الثوري، التوجّه الذي اختار صيرورة الديمقراطية التمثيلية التي أنقذت، حسب رأيه، النظام السابق وأعدت إنتاجه انطلاقاً من المجلس الأعلى لتحقيق أهداف الثورة والمجلس التأسيسي.

¹⁷⁶سُفيان جاب الله، الحملات الشبابية في تونس، في "سوسيولوجيا الاحتجاج والتنظم". منظمة راج 2018
¹⁷⁷ناشط في حملة "باستا"

هم، في تأويله للواقع، رجال مطافئ يخرجون لإخماد نار الثورة في كلّ شكل من أشكال الفعل الجماعي خاصّة في الحملات، حيث يرفضون المرور للعنف مع البوليس ويهادنون الإسلاميين لكسب ودّهم البرلماني تارة أو لحسابات سياسيّة تارة أخرى.

وفي ملاحظات إثنوغرافيّة أسوقها في هذا الإطار لوقفه احتجاجيّة لحملة باستا انتهت بمظاهرة شارك فيها العشرات، حرص فيها ناشطون يساريون كانوا متحرّزين سابقا على منع المتظاهرين من التوجه لوزارة الداخلية وخاصّة عدم الاصطدام بالعازل البشري البوليسي. ممّا سبّب سوء تفاهم بين أفراد الحملة.

وما يمكن فهمه في هذه الحادثة بربطها بعدد الملاحظات السابقة وجود كمّ نوعي من الناشطين المغادرين لتنظيمات يسارية سابقة، (يتراوح سنّهم بين 30 و 36 سنة وشارك أغلبهم في النضال السياسي السري في عهد "بن علي") ، يبحثون عن موطئ قدم داخل أشكال الفعل الجماعي الجديدة التي توفّر لهم كشباب فرصة عمل سياسي على عكس الأحزاب التي هجروها إمّا قسريا أو إراديا لكن بتصوّر مختلف للحملة كشكل من أشكال الفعل الجماعي على المستوى التكتيكي (طرق تنظيم الاحتجاج وممارسة الأفقية) والإستراتيجي (الهدف من الحملة وماهيّتها) وباستبطان دائم لتطبّع سياسي موروث من النشاط في حقل سياسي تهيمن عليه الديمقراطية المركزية والهرميّة والعلاقات العموديّة ممّا جعلهم يجدون إشكالا حقيقيّا في النشاط داخل حيّز تنظيمي أفقي لا قيادة فيه ولا "ماكينة" صراعات على الشاكلة الحزبيّة تُشغله.

VI. كيف ولماذا: كيف تُبعثُ/تنبعث الحملة كفعل جماعي ولماذا؟

أن نفهم لماذا (الأسباب) وكيف (منطقيات ومعاني الفعل الذاتية وكيفياته) ننخرط في فعل جماعي، بالتحديد الحملات، فذلك يتطلب دراسات علمية معمقة. لكن ما نبحت عن مقاربتة في هذه السطور هو بحث في إحدى زوايا النظر الممكن من خلالها تحليل هذا الانخراط.

بالتالي ننتقل من سؤال إشكالي: هل يمكن حشد الناس إذا أراد البعض ذلك أو اعتقد أن الأوان قد حان؟ هل يمكن، فقط بتوفر الشروط الموضوعية للفقر والتهميش والبطالة وغلاء الأسعار، نزول الناس للشارع أفواجا أفواجا لإحياء رميم الحركة الاجتماعية ناشدين صيرورتها الثورية؟؟

تذهب أشد المقاربات السوسيولوجية الأميركية براغماتية (المقاربة البنائية التأطيرية لدافيد سنو) إلى أنّ الشروط الموضوعية (اقتصادية واجتماعية) لـ"اللاعادلة" التي توجد في وضعية ما، لا تكفي لحشد الجموع من أجل فعل جماعي ضد هذه الوضعية. فمن أجل أن يحدث المرور النوعي من وضع "قابل للتحرير" إلى "متحرك"، أو من قابل للانخراط إلى منخرط، يجب على الأفراد المعنيين بخلق الفعل الجماعي أن يتفوقوا ويجمعوا أساساً على ثلاثة محددات جوهرية، وهي: وجود مشكل وتحديد المسؤولين عنه؛ تحديد الآليات والوسائل الناجعة والضرورية للفعل ومواجهة الجهة التي تسبب/تمثل المشكل؛ ثم الإيمان/الاعتقاد بالقدرة على الفعل وضرورة الفعل، وإمكانية التغيير والانتصار.

بالتالي، إنّ الوعي بكيفية اشتغال منظومة الضمير بمختلف أشكاله، بما هو تنشئة متفردة، باعتباره نتاجاً لتجارب وجودية تنحت مواقف نقدية ومسارات تتحقق فيها ذوات مختلفة عن أغلبية المجتمع الخاضع للمعايير السائدة، ليس أكثر الأشياء توزيعاً عادلاً بين الأفراد، بل أكثرها نُدرة¹⁷⁸.

إذ يذهب "أولسن" إلى تفسير عدم الانخراط في الفعل الجماعي بالنسبة للمعنيين به مباشرة (مثل الاحتجاج على: واقع الهشاشة الاقتصادية بالنسبة للطبقات المتوسطة والفقيرة؛ التمييز السلبي في التنمية ضد الجهات الداخلية؛ بطالة أصحاب الشهادات العليا)، بأنهم يقومون بحساب نفعي لمدى الربح/الضرر الناجم عن المشاركة في الاحتجاج من عدمه، وكيفية ذلك.

¹⁷⁸سفيان جاب الله، نضال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، موقع المراسل (2018) الرابط: <http://v.ht/BxNX>



كأنّ الاحتجاج « فرض كفاية¹⁸⁰ » ، إذا قام به البعض، سقط وجوبه عن البعض الآخر. فإذا كان الفرد المتضرر من البطالة متأكداً من أنه إذا ما نجح الفعل الجماعي من دون مشاركته، سيتمكنه من الانتفاع بثمار نضالات الأقلية المنتظمة سياسياً في صراعها مع الحكومة، وأنه سيكون في مأمن من الصراع مع البوليس، وامتتاعاً بوقته، فإنه في كل الحالات سيكون مقبلاً على الربح ومنسحباً من الهزيمة. فرد "فرداني" ينتظر الآخرين للقيام بالفعل الجماعي ويقتسم معهم الربح ويضمن سلامته من الضرر.

فالفرد المتضرر من نمط الإنتاج الاقتصادي ومنوال التنمية في تونس، وأمام الصراع الذي تخوضه أقليات تنظيمية، إن لم يكن حاملاً لتجربة/لوعي سياسي يمثل إطاراً تأويلياً للواقع بالنسبة له (كما هو الحال بالنسبة للمتحرزين أو ناشطي المجتمع المدني)، فلن ينخرط في النضال من أجل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، وذلك بسبب قيامه بعملية حسابية للمجهود الذي سيبدله في مقابل الربح الذي سيأتي، به أو من دونه، في حال الانتصار، وبالتالي سيتفادى جهداً ضائعاً أو ضرراً من الصراع مع السلطة.

¹⁷⁹©HediaBaraket. « Tunisie : Parole de « révolu lucides » in Nawat.org

¹⁸⁰180 سفيان جاب الله، نضال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية، موقع المراسل (2018) الرابط: <http://v.ht/BxNX>

إن كان الواقع المتسم بالإقصاء واللاعدالة لا ينتج، في علاقة ميكانيكية بافلويّة (مثير- استجابة) وسببيّة (سبب-نتيجة)، فعلا جماعياً محتجا ومطالباً بتغيير هذا الواقع في إجابة عن تساؤل تفسيري عكسي. "لماذا لا تحتجّ الأغلبية ضد منظومة تهيمن عليها". فكيف يمكننا، بنفس هذه المقاربة، أن نفهم انخراط الأقلية، وفي موضوع هذه الدراسة، أن نفهم انخراط الشباب الفاعلين في الحملات في فعل جماعي في واقع تستقيل فيه الأغلبية ؟

انطلاقاً من «البورتريه» الذي رسمناه للفاعل في الحملة ثمّ بجعل معطياته الكميّة تتقاطع مع المعطيات الكيفيّة التي أنتجتها مقابلات نصف موجهة وملاحظة بالمشاركة، يمكننا محاولة فهم انخراط هذا الفاعل دون غيره في فعل جماعي مماثل. إذ يشترك هذا الفاعل مع مئات الآلاف من الشباب التونسي في معاشته لمرحلة 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011¹⁸¹ أي مع نفس "الكوهورت"¹⁸² أي مجموعة الأفراد الذي عايشوا معاً حدثاً معيّناً في فترة محدّدة، والسيرورة التي تلتها في سنّ تتراوح ما بين 18 و 23 سنة". يشتركون في عدّة متغيّرات كالمهن (طلبة أو عاطلون عن العمل أو موظفون جدد في القطاع العام أو الخاص) والمستوى الدراسي (التعليم الجامعي) والانتماء لطبقة متوسّطة والعزوبية . لكن هذا الاشتراك في الواقع الموضوعي لم ينتج نفس المسارات حيث لم ينخرط إلاّ مئات الشباب في الحملات كردّة فعل على هذا الواقع. لذلك، وفي تأويل متواصل لنفس البورتريه، نجد أنّ فاعلي الحملات يختلفون عن باقي المُنتميين لنفس "الكوهورت" في بيوغرافيا التقائهم، في محطات مختلفة من حياتهم، بخطابات إيديولوجية لمنظمات فعل جماعي مختلفة (مثال : الاتحاد العام لطلبة تونس : الأطراف الإيديولوجية (شيوعيين وقوميين) المهيمنة داخله) ولقابليّتهم المخصوصة لهذا النمط من الخطاب في سياقات معيّنة.

¹⁸¹Université de Sherbrooke, Québec, Canada. « Perspective monde » [En ligne] <http://v.ht/XDIG> (consulté le 23/04/2019).

¹⁸² <https://www.psychologies.com/Dico-Psycho/Effet-de-cohorte>

هنا نتحدث عن تفاعل مختلف العوامل المتدخلة (الذاتية والموضوعية) وذلك ما ذهب إليه كل من "إسحاق توماس" و"توماس وفلوريان زنانياكي" في مؤلفهم الشهير "المزارع البولوني". حيث أكدوا على أنه في إطار وجود تفاعل دائم ومتواصل بين الفرد ومحيطه لا يمكن الجزم بأن الفرد هو نتاج للوسط الذي ينشأ فيه ولا أنه هو المنتج لهذا الوسط، بل بالأحرى المحيط يُنتج الفرد الذي ينتجه بدوره. فالفرد نتاج لقدره ومُنتج له. فالأفراد (وهنا نتحدث عن الذين لهم نفس الخصائص بانتمائهم لنفس الوسط الاجتماعي ومُعايشتهم لنفس الوضعية السياسية الاقتصادية والاجتماعية)، ومواصلة لهذا الاستقرار، يفعلون ويردون الفعل بطرق مختلفة حسب تمثلاتهم للوضعية التي يعيشونها. هذا ما يُسميه "إسحاق توماس" "تعريف الوضعية" وما يُطلق عليه "مرتون" مصطلح "نظرية توماس" حيث يبني مفهوم قائم على اعتبار أن التمثل الذي نصوغه حول وضعية ما يُساهم في تكوين هذه الوضعية¹⁸³.

بالتالي نخلص إلى أن الواقع ليس هو من يحدّد انخراطنا من عدمه بل علاقتنا بهذا الواقع بما هي علاقات استبطان متعدّدة حسب سيرورات تنشئة مختلفة تجعل نفس الواقع الذي يعيشه آلاف الأفراد لا يخضعهم جميعا لنفس المصائر والملاذات وينتج ردود فعل مختلفة.

خاتمة :

في ختام هذه الورقة، ونتاجا لسيرورة الاستقرار المنهجي، ما بين النظري والإمبيريقي، لسيرورة الحركة الاجتماعية 17 ديسمبر 2010 / 14 جانفي 2011 نحو صيرورة ثورية منشودة بتحقيق مطالبها الإستراتيجية المركزية ألا وهي "الشغل-الحرية-العدالة الاجتماعية-السيادة الوطنية"، نتخلّص لكون الحملات الشبابية، بتنظيمها الأفقي

¹⁸³Weinberg, A. (2000). Le paysan polonais, itinéraire d'un migrant. Sciences Humaines, 108(8), 34-34. <https://www-cairn-info-s.sargasses.biblio.msh-paris.fr/magazine-sciences-humaines-2000-8-page-34.htm>.

الجدموري المؤقت، تكتيك مرحليّ يندرج في إطار استراتيجيا ردّ الفعل ضدّ اشتغال ميكانزمات إعادة إنتاج "سيستام" ما قبل جانفي 2011 من جهة، ونفور من جسد سياسي ديمقراطي تقدّميّ "يساري" أمرضته المركزية الديمقراطية والهرمية والعموديّة والاحتكار واللاديمقراطيّة في تسيير فعله الجماعي من جهة أخرى. وذلك في سياق يشهد شتات منظمات الفعل الجماعي المكوّنة لقاعدة هذه الحركة وكذلك لفاعليها المؤثرين وعدم قدرتهم على تكوين قوّة سياسيّة جامعة يُمكنها تحقيق مطالبها في ظلّ المسار المُتشكّل منذ حوار 2014¹⁸⁴ وحتى قبل ذلك التاريخ.

وبالتّالي فآفاق التشبيك بين شتات الفاعلين أفرادا ومنظمات وتجارب من أجل صيرورةٍ تنتقل بمختلف أشكال الفعل الجماعي من النضال إلى التحقّق كأفّقٍ لهذه القراءة/الاستقراء، هي آفاق تُقرأ في سياق تطوّرها وفي صيرورة تشكّلٍ معقّد، في سياق مخصوص، لعلاقات ترابط متبادل بين جهود ومساعٍ ومصالح فرديّة وجماعيّة غير متجاوزة لمجموعها بل ناتجة عنه. فالصيرورة ليست خارجة عن إرادة الفاعلين بل هي نتيجة صيرورة أفعالهم. ف« نُضجُ » الحركات الاحتجاجية، أو بالأحرى نُضج أشكال الفعل الجماعي باختلاف أشكالها وتعدّد وتنوع وتغيّر فاعليها، رَهينُ قدرتها على المُراوحة بين سياسيّ الحلم والصراع. الحلم باعتباره يمنح الأمل في ظلّ واقع الديستوبيا¹⁸⁵، باعتبار أنّ الأمل، الحلم، الخيال، انتظار التحقّق والسعي إليه هي مكوّنات "اليوتوبيا"¹⁸⁶ التي من دونها لا وجود لأيّ مشروع سياسي. والصراع باعتباره تكتيكا واستراتيجيا في إطار ممارسة عمليّة بمنطلقات وأساليب وغايات، مُراوحة قادرة، في تصوّرنّا، على جعل الصيرورة الثوريّة المنشودة ممكنة التحقّق في حال الاتّعاظ من تجارب سابقة وراهنة داخليّا وخارجيّا لعلّ أبرزها تجربة السترات الصفراء في فرنسا والتي أثبتت موت الفاعل الكلاسيكي المُعرّف

¹⁸⁴الحوار الوطني الذي بعثته المنظّمات الأربع "الاتحاد العام التونسي للشغل-منظمة الأعراف-الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان و هيئة المحامين" و الذي نقل الحكم من النهضة إلى حكومة تكنوقراط قبل انتخابات 2014.
¹⁸⁵ وهي بالضد من ملامح اليوتوبيا حيث الشرور والخيبث وتفاقم الفساد وشيوع الكآبة إضافة إلى انتشار الفقر والعوز والقحط والمظالم الجمة وكل ما هو قائم ومكتر
¹⁸⁶كلمة يوتوبيا "Utopie" هي كلمة لاتينية "تحيل على مجتمع سياسي ذي نظام مثالي، أو على أرض أو وطن خيالي، ويكون هذا التصور مثاليا ونهائيا

بالألف واللام (التعريف الإيديولوجي والحزبي والنقابي) وولادة فاعلين جُدد مجهولين قادمين من بين الحشود التي اغتُبرت أغلبيّة صامتة غير واعية ولا قدرة لها على خوض غمار الفعل الجماعي لأنّ لا ماضي نضالي لهم ولا منطلقات إيديولوجية. فاعلون جُدد يختلفون في أساليبهم (الأفقية والجذمورية) وغاياتهم من حيث تبنيهم لمطالب مُلغمة ما أن يُضغط عليها، بالرفض أو القبول، حتّى تنفجر منتجة واقعا مغايرا لما كان سائدا. فاعلين، كفَاعلي الحركات الاجتماعية الجديدة، قادرين على التغيير.

ما الذي يجمع فسيفساء تشتت قطعها لكنها في نظر بحوثٍ علمية تراها ملتئمة ومجمعة ومتناسقة؟ كيف لبحوثٍ مُماثلة أن تُقرأ مجتعة رغم فرادة كلِّ إشكالية على حدة؟ إشكاليات تُقارب واقعا متشابها ومختلفا تتحدّ فيه أصداده وتتفرق في آن؟ كيف لنا أن نبحث عن تشخيص واقع مماثل؟ واقع فيه فنّان راب من هوامش المدينة يُغني ليحتجّ على مركزية الحقّ في الحياة، وحركة احتجاجية هامشية تعادي التهميش بفعل جماعي يلغي من ألغاه ولو كان من مسانديه. واقع فيه شباب "أولتراس" يتنبؤون بالثورة ولا تعنيهم صيرورتها، وباحثون يتفاجؤون بها فينخرطون في فعل ينشد تحقيقها! فيه مُدوّنون يناضلون في شبكة عنكبوتية ضدّ نظام سقط رأسه فصار كأرملة سوداء! وحملات أفقية في فعلها تنتشر كجذمور في بيئة احتلتها أشجار السلطة التي لا تثمر وفتّانون يجعلون الفضاء العام مكانا لرفض الواقع، الواقع برّمته. واقع فيه أساتذة غادر طباشيرهم الأقسام ليحتجّ في الشوارع، عمال في مصانع الظلّ لا ضوء يُسلط على نضالاتهم، مُهرّجون يجعلون البوليس يبتسم ويعوّضون مناضلين أعتبتهم كلاسيكية احتجاجهم وأحزنتهم في آن! واقع ترسمه صحراء الكامور بوشائج أولية تنتخب فاعلين عاديين لكن بفعل لم تعتده السلطة، واقع تُصوّره مشاهد جرّرات في جندوبة تغادر حقلا لتذهب إلى حقل آخر: من الحقل الفلاحي إلى الحقل الاحتجاجي! وواحات جمنة التي تحتجّ فيها الدقلة في عراجينها مطالبة بالحقّ في الأرض

47 شارع فرحات حشاد، العمارة «أ»، الطابق الثاني 1001 تونس
الهاتف : +216 71 25 76 64 - الفاكس : +216 71 25 76 65
contact@ftdes.net - Contact@ostunisie.org

